(١١)

سياسة الكراهية والتحريض

obeikan.com

الجريمة التي حدثت في ليلة رأس السنة الميلادية ٢٠١١ في الاسكندرية كان وسيبقى هدفها تسعير الاحتراب الطائفي والمذهبي وتعميم ظاهرة الفتنة بين أبناء الوطن الواحد، بإلحاق مصر العروبة بأتون محرقة الحرب الأهلية المشتعلة الآن في عدد من الأقطار العربية. هذه الجريمة متماهية في شكلها إلى حد التطابق مع ما حدث ويحدث في العراق منذ احتلاله في أبريل/ نيسان عام ٢٠٠٣، وما حدث في لبنان خلال الحرب الأهلية في السبعينيات من القرن المنصرم، وما يحدث في الصومال من صراع بين قوى مسيسة - إسلامية- متناحرة ارتهنت للخارج، وفي اليمن يأخذ مخطط التفتيت شكل حرب أهلية بين الحكومة المركزية والحوثيين، وبينها أيضاً وبين الحراك الجنوبي، الذي ينادي باستعادة الجنوب، فيما تقوم وزيرة الخارجية الأمريكية «هيلاري كلينتون» بزيارة مفاجئة إلى العاصمة اليمنية صنعاء، (٢٠١١/١/١١)، وتبحث خلالها مع الرئيس اليمني علي عبدالله صالح قضايا ذات اهتمام مشترك بوضع استراتيجية بعيدة المدى بين صنعاء وواشنطن، في ظل الحديث عن تسهيلات لقدوم خبراء وقوات أمريكية وبريطانية، وإقامة معسكرات في مناطق مأرب، حضرموت، شبوة وأبين، حسب تقارير ومصادر إعلامية، ما نفته صنعاء.

إن جريمة الاسكندرية مع ما سبقها من الكشف عن عدد من شبكات التجسس الصهيونية، بعضها يمتد دوره في التجسس على مصر إلى أكثر من عشرين عاماً، يتزامن إلقاء القبض على أفرادها، مع اتهامات العدو الصهيوني لمصر بأنها تسعى لحيازة التكنولوجية النووية، وما قدمه مدير المخابرات العسكرية الصهيوني السابق «عاموس يادلن» من كشف حساب عن إنجازات الموساد في مصر، من أخطرها الاعتراف بترتيب الفتنة الطائفية والعمل على تمزيق المجتمع المصري الرافض للتطبيع مع العدو الصهيوني منذ اتفاقية كمب ديفيد، التي أبرمها «السادات» و«بيغن» بحضور الرئيس الأمريكي «جيمي كارتر» عام ١٩٧٨. وتتزامن تلك الجريمة أيضاً مع ما ورد في موقع «ويكيليكس» من وثيقة مثيرة تقول إنه يجب أن يكون الجيش المصري على استعداد للتسلح بالقوة الأمريكية ليواجه ما سمي «الإرهاب»، بمعنى أن الأمريكيين يريدون أن يحددوا دور وعقيدة الجيش المصري وفق القراءة الأمريكية في القضايا الداخلية والإقليمية.

إن المستفيد من ارتكاب هذه الجريمة والتسعير الطائفي، الحاصل جهاراً نهاراً، هم أعداء الأمة وقوى الشر والعدوان المتمثلة بالمشروع الأمريكي - الصهيوني - الغربي، الذي لم يعد يخفي مخططاته الرامية الى تفتيت المنطقة بأسرها، حتى ما بعد انفصال

جنوب السودان؛ لأن فتائل التفجير كامنة ولم تبطلها سنوات الفترة الانتقالية بين اتفاق نيفاشا (١٩٩٥) واستفتاء تقرير المصير (٢٠١١/١/٩) بل إن الصراعات قد تطفو على السطح مجدداً في مرحلة الاستقلال من أجل السلطان والثروة، ليس بين قوى وقبائل الداخل فحسب، بل بين القوى الإقليمية والدولية التي تبحث وتتطلع إلى موطئ قدم اقتصادي وسياسي وأمني، وتتصارع على اتساع القارة من أجل المصالح والنفوذ والاستحواذ على الثروات الطبيعية وخصوصاً النفط، حيث ستكون الدولة الوليدة التي تحيط بها أوغندا وأثيوبيا وكينيا وأفريقيا الوسطى والكونغو الديمقراطية، بما لها أيضاً من مصالح ومطامع متصارعة، بؤرة لهذا الصراع الإقليمي والدولي، إن كان ليس في وقت قريب، بل في المدى المنظور.

فبعد سنوات من التذبيح الطائفي والمذهبي في العراق، وبعد تكاثر آليات التفتيت في أكثر من دولة عربية، يأتي دور الدولة العربية المركزية مصر، عبر ضرب خاصرتها السودانية، ناهيك عن عمليات التجسس عليها والعبث بصيغة اتفاقية مياه النيل، ومؤخراً عبر التفجير الإجرامي في الإسكندرية، كتعبير آخر من تنامي ظواهر الطائفية والمذهبية والإثنية في المشهد العربي، بما تشكله تلك السرطانيات من خطر على الأمن القومي.

في خضم هذا المشهد، نسأل أين الفاتيكان من الإتهامات المكرورة التي بدأت تنتشر في دوائر الغرب ووسائط إعلامية منذ لاحت بوادر انهيار الاتحاد السوفييتي؛ إتهامات أوساط شركات الأسلحة الغربية والطاقة لما يدعونها «الأصولية الإسلامية»، بأنها تسعى إلى تدمير الثقافة الغربية كونها العدو الأول للديمقراطية الغربية.

كان هذا في منتدى في تشيلي (٢٠١٠/١٢/١٩)، حين قال الكاتب «ماريو بارغاس يوسا» من البيرو، وحامل الجنسية الإسبانية، الحائز على جائزة نوبل للآداب (٢٠١١)، «من البديهي حقاً أن يثير اسم «نوبل» مجالاً دلالياً فيه كلمات دالة على معان وأسماء في الأخلاق الفاضلة، النبل، النبالة والنبيل، ويتأكد هذا ونحن نعرف أن الجائزة المنسوبة إلى «نوبل» مخترع الديناميت الفتّاك والقاتل، وضعها صاحبها للتكفيرعما تسبب به من الفتك والدمار، ولتكون مخصصة لأناس قدموا خدمات جليلة للإنسانية وللبشرية في حقول «الآداب والفنون والعلوم والسياسة».

لكن أليس غريباً أن تُمنح الجائزة لمجرمي حروب وسفاكي دماء، وإرهابيين أمثال «مناحيم بيغن» و«اسحاق رابين»؟ أو ليس نقيضاً أن تُمنح أيضاً جائزة الأدب الإنساني لمن يفتقر إلى أي سمة من سمات الإنسانية في تفكيره وسلوكه المتحيز

لحركة فاشية قامت على مبدأ الاقتحام والقتل وسفك الدماء والعدوانية العنصرية والمجازر والتوسع والاحتلال مثل الحركة الصهيونية، من أمثال «ف.س. نيبول»؟

اتهامات يمكن لأي متابع أن يرجع إلى أصولها في عقول أباطرة المال وشركات النفط والأسلحة وواضعي استراتيجيات الغزوات الإمبراطورية، أمثال «مارتن أنديك»، «دوجلاس فايث»، «برنارد لويس»، «دانيال فايبس»، «بول وولفويتز»، «زبيغنيو بريجينسكي»، «دونالد رامسفيلد»، و«ديك تشيني»، وغيرهم ممن أطلق عليهم لقب «المحافظون الجدد». ومن يتابع هذه الاتهامات ويستمع إلى هذا الخطاب يتوهم أن هذه الشعوب التي تُباد بآلة الدمار والأسلحة الغربية الفتاكة، وتُسلب ثرواتها، وتُنتهك حقوقها ومقدساتها ويصادر تطورها، وتُمزق أوطانها وتهاجمها أساطيل الغزاة والجحافل من الجيوش والمرتزقة، هي التي تقصف وتدمر شعوب الغرب وتحتل بلادهم.

● وتطالعنا في هذا المشهد، دعوة القس الأمريكي «تيري جونز» (٢٠/٩/٢٠١٠) في فلوريدا، إلى حرق نسخ من المصحف الشريف؛ ولفت انتباه الكونغرس الأمريكي إلى «تنامي خطر الإسلام»، حسب زعمه، وحاجتنا (الغرب) إلى مواصلة الحرب التي بدأناها ضد الإسلام.

● كما تطالعنا المستشارة الألمانية «أنجيلا ميركل» لإدانة «تيري جونز» كاهن فلوريدا، ثم تنتقل إلى حفل لتكريم الرسام الدنماركي صاحب الرسوم المسيئة لخير المرسلين، للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتعتبر في كلمتها في الحفل، الإساءة، حرية تعبير.

● ويطالعنا كذلك زعيم اليمين المتطرف في فرنسا «جان ماري لوبان» بالحض على كراهية الإسلام في ملصق انتخابي يعود إلى فبراير/شباط ٢٠١٠، يحمل عنوان «لا للتطرف الإسلامي» وتظهر فيه إمرأة منقبة خلفها خريطة فرنسا مرسومة بألوان العلم الجزائري وتعلوها سبع مآذن على شكل صواريخ،[١] ما يدعونا إلى الإشارة إلى غلاف مجلة «تايم» الأمريكية في عددها المؤرخ في ١٥ حزيران/يونيو ١٩٩٢، الذي زينته بصورة مئذنة مسجد بجانبها بندقية رشاشة في مثل حجمها، وفي أسفل الغلاف، تحت البندقية العبارة: «الإسلام.. هل ينبغي للعالم أن يخاف؟».[٢]

---

(١) جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١١٤٨٦، ٣٠/١٠/٢٠١٠ ووكالات أنباء ووسائل اعلام مرئية.

(٢) محمد عابد الجابري، مسأله الهويه، العروبة والإسلام.. والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، ١٩٩٧، ص ١٣٧.

● وننتقل إلى تحليل استراتيجي يتناول «السياسة الواقعية في العالم الجديد» نشرته مجلة «انترناشونال أفيرز» في عددها الصادر بتاريخ ٣ يوليو/ تموز ١٩٩١، حيث يحاول كاتبه استشفاف القوى التي سيواجهها الغرب بعد انهيار الشيوعية، فيقول:«.. والتصادم بين الهويات الحضارية أوضح ما يكون بين الغرب والإسلام».(١) ويضيف : «ربما يوجد رأي واسع الانتشار في الغرب، ليس على استعداد فحسب لتأييد حرب باردة على الإسلام، بل وللأخذ بسياسات تشجع على ذلك».

نعرج في هذا المشهد، إلى دعوة بابا الفاتيكان «بنديكت السادس عشر» (٢٠١١/١/١)، التي طالب فيها بحماية أقباط مصر والأقليات المسيحية في الوطن العربي، على خلفية التفجير، تفجير الفتنة الإجرامي في الاسكندرية، وكذلك حملة التصريحات والتنديدات التي صدرت عن الرئيس الفرنسي (٢٠١١/١/٧) والرئيس الألماني (٢٠١١/١/١١) بشأن الحادثة ذاتها، مطالبين إدراج مسألة اضطهاد المسيحيين في قمة الاتحاد الأوروبي، التي عُقدت نهاية يناير/كانون الثاني ٢٠١١.

أقول، ومن موقع الانتماء الديني والقومي، هي دعوة ممجوجة مرفوضة. تُعبّر عن تدخل سافر في الشأن العربي ـ الإسلامي، الذي حافظ وبالنواجذ طوال العصور، على كينونة ونسيج وفسيفساء الهوية الجامعة لشعوب الأمة العربية والإسلامية التي تعرضت لحملات غربية ضارية فيها الكثير من الافتراء والتجني وتحوير الحقائق والتدليس. ذاك الغرب ومعه الصهيونية ربيبته عندما يستحضرنا في مشاريعه وسياساته المستقبلية يتخذ الإسلام والمسلمين موضوعاً له، يلغينا كذاتٍ لها حق المنافسة له؛ غرب يعبّر عن نفسه، عن ميوله ورغباته الدفينة، في الظاهرة الشاملة التي تطبع عصرنا بوصفها سلاح القوى الكبرى للهيمنة على مستقبل أجيالنا، ومستقبل البشرية جمعاء، ظاهرة الاختراق والتدخل والهيمنة.

والإسلام دين الكفاية والعدل والحق والحرية، جاء للبشرية جمعاء، دونما فرق بين أبيض أو أسود أو أصفر، كفل الحقوق عندما كان الانسان لا يتمتع بأي حقوق في الغرب، وفي الأيام الغابرة كانت الدولة الإسلامية هي المنارة الحضارية للعالم. بينما كانت أوروبا تغرق في عصور الظلام.

والآن، ها هي موجة العداء للإسلام والمسلمين تتجدد في الولايات المتحدة وأوروبا، تتوجها دعوة الفاتيكان، كما كانت وما تزال، حالة العداء للمشروع القومي

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٨.

العربي، ممثلة في حلقته المركزية بقضيته المرتبطة باسم فلسطين، مشروع نهوض عربي، تنموي تحرري، نصبَ الغرب بقواه الاستعمارية، قديمها وجديدها، سمات العداء التي نلحظها وباتت راسخة في الفكر الغربي بدوائره ومراجعه وآلته الإعلامية، يعبر ويدفاع مستميت عن قيم «الحرية والتسامح والديمقراطية (التي تحلّل حراماً وتُحرّم حلالاً) وحقوق الإنسان» تبريراً للروح العدائية العدوانية للإسلام وللمسلمين، شعارات قوامها الاستبعاد والنفي وتصوير الإسلام على أنه دين عنف وإرهاب، وصفقات أصبحت تهماً جاهزة في الخطاب الغربي، وحقيقته أن ما يحدث هو حرب صليبية جديدة، نطقها بملء الفم الرئيس جورج بوش الابن، الذي تقود بلاده الولايات المتحدة النظام الرأسمالي الغربي، هراوتة الكيان الصهيوني والحلف الإطلسي ـ الناتو ـ لكن تلك الحرب الجديدة ليس تحت شعارا ت الصليب، وإنما تحت شعارات العلمانية.

● وبما أن الشيء بالشيء يُذكر، فإن الصورة التي يعرفها رئيس أمريكا الأسبق «نيكسون» للعالم الإسلامي في خيال العرب، بقوله: «ليس لأمة في العالم ولا حتى للصين، صورة سلبية في الضمير الأمريكي ـ الغربي ـ مثل صورة العالم الإسلامي» (١) هي غيض من فيض مما في الذاكرة الغربية التي تحدد بصورة أو بأخرى، تفكير الغرب الإمبريالي الصهيوني، لتجعل من العرب والمسلمين ذلك «الآخر» الخصم التاريخي. هذا الفكر الغربي يصف حضارته بأنها حضارة «يهودية/مسيحية»، بمعنى الجنوح إلى إلغاء «الآخر» وممارسة إمبريالية عالمية على التاريخ.

إن خلق مثل هذه الأجواء المعادية ليس عبثاً، كونها تخدم أهدافاً بعضها انتخابي كما هو الحال في الولايات المتحدة في إطار التنافس بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي، وبحراك فاعل لعصابة المحافظين الجدد، وبعضها الآخر سياسي ـ عسكري لتبرير الحروب الأمريكية من جهة، أو التمهيد لإجراءات قمعية ضد المجموعات الإسلامية في إطار تصاعد المد اليميني العنصري الأوروبي، وبشراكة حميمية للمجموعات الموالية للكيان الصهيوني، في إطار معركة هذا الغيتو الاحتلالي للسيطرة على الساحة العالمية بهدف تشويه صورة المسلمين للتغطية على الإرهاب الصهيوني الفعلي الذي يمارَس جهاراً ضد الشعب الفلسطيني.

نقول ذلك، لأن الحملة الضارية ضد الإسلام والمسلمين التي تقودها هيمنة الرأسمالية العالمية، التي تحاول إحكام سيطرتها على العالم باسم «النظام العالمي

---

(١) ريتشارد نيكسون (رئيس أمريكي سابق)، انتهاز الفرصة، ص ١٩٥.

الجديد» فيها الكثير من الافتراءات؛ فالأدلة والتقارير الرسمية الموثقة الأوروبية والأمريكية تدحض كل هذا الزيف في هذا الخطاب العنصري المستشري:

● يعرض الرئيس الأمريكي الأسبق «نيكسون» للمراقبين الذين يؤكدون أن الإسلام سوف يصبح قوة جيو- سياسية مستعصية، من خلال نمو سكانه وتبوّئه مركزاً مالياً مهماً سيفرض تحدياً رئيسياً يحتم على الغرب أن يقيم تحالفاً جديداً مع موسكو للتصدي لعالم إسلامي معادٍ وعدواني،(١) ثم يرسم «نيكسون» بناء على ذلك الاستراتيجية التي يرى أن على الولايات المتحدة العمل بها للتأثير في التطور التاريخي في العالم الإسلامي، الشيء الذي يعني العمل على ضمان استمرار هيمنة الولايات المتحدة على هذا العالم.

● يؤكد التقرير السنوي لمكتب الشرطة الأوروبية (أوروبول) حول الإرهاب في دول الاتحاد الأوروبي للعام ٢٠٠٩، بصورة قاطعة، أن ٩٩،٦٪ من الهجمات الإرهابية نفذتها مجموعات غير إسلامية، وأن ٨٤،٨٪ من الهجمات نفذتها مجموعات أوروبية إنفصالية، فيما ٠،٤٪ فقط من الهجمات خلال ٢٠٠٦-٢٠٠٨ يمكن أن تُنسب إلى مجموعات إسلامية.(٢)

● يرى ويؤمن المخرج اليهودي الأمريكي الشهير «جاكوب بندر» بأن الغرب افترى على الإسلام كثيراً بسبب التيارات اليمينية المتطرفة التي سيطرت على الإعلام ووجهته نحو تشويه صورة الإسلام لأهداف سياسية، مؤكداً رفضه الممارسات الصهيونية العنصرية ضد الشعب الفلسطيني. ويقول، كانت آراؤه عن الإسلام تحكمها النظرة المتشددة مثله في ذلك مثل ملايين الغربيين، ومهمته التقريب بين الطرفين الصهيوني والفلسطيني والوصول إلى حل يعيد الحق لأصحابه الفلسطينيين، بعدما كان لفترة طويلة من الداعمين للسياسة الصهيونية.(٣)

● في كتابه «الفاشيون الأمريكيون» يقول «كريس هيدجين» مدير مكتب جريدة «نيويورك تايمز» الأمريكية السابق في الشرق الأوسط والبلقان: «إن العمليات التي تنفذها القوات الأمريكية في العراق وأفغانستان شبيهة بالعمليات التي كان ينفذها الإرهابيون؛ والفاشية الإسلامية التي يتحدث عنها الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش لا وجود لها إلا في ذهنه. أما الفاشية الحقيقية فهي تلك التي يمارسها في

---

(١) ريتشارد نيكسون، انتهاز الفرصة، ص ١٩٥.

(٢) جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١١٤٧٠، ١٤/١٠/٢٠١٠.

(٣) جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١١١٢٨، ٦ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٩.

العراق وأفغانستان. ويضيف «هيدجين»، إن حملات التحريض التي يشنها الفاشيون الإرهابيون في أمريكا الجنوبية والوسطى والبلقان والشرق الأوسط، واليمين الأمريكي المتطرف المتحالف مع الصهاينة سيجرون أمريكا إلى سلسلة من الحروب والكوارث، وإن اليمين المتحالف مع الصهيونية العالمية يسعى لفرض نظام توتاليتاري فاشي في الولايات المتحدة يتحول فيه الأمريكيون إلى قطيع من النعاج، في احتكارهم لأجهزة الإعلام والمؤسسات المالية؛ ويعرف هذا التحالف البغيض كيف يبتز الجماهير لكي تتحول إلى وسيلة لتحقيق غاياتهم التي ستدفع الولايات المتحدة إلى عدم الاستقرار سياسياً واجتماعياً».(١)

● ولعلنا نحتاج إلى تقديم شهادات مماثلة وأدلة موثقة منقولة عن وسائل الإعلام الأوروبية. فهي تعيد إنتاج نفس الخطاب، خطاب «الخوف من الإسلام»، وتتغذى مما تنتجه وسائل الإعلام الأمريكية من أخبار ومشاهد، فضلاً عن خطاب التعصب والعدائية والعنصرية المستشري في الأوساط اليمينية خاصة. وقد تكفي الإشارة هنا إلى جريدة «لوموند ديبلوماتيك» الفرنسية التي لم تتردد في وصف المسلمين في أوروبا بأنهم يشكلون قنبلة موقوتة ضد الغرب. وهو خطاب لا يعبرّ إلا عن هواجس، مصدرها في مكونات «الأنا» الغربي، خوف وهواجس من الإسلام الذي تكتوي شعوبه بنيران الدولة العظمى التي تنصّب نفسها رقيباً وحسيباً على العالم، وتفرض نفسها قاضياً عالمياً يحدّد معايير الالتزام بحقوق الإنسان والحرية والعدالة والديمقراطية، فيما تثبت الأدلة والوقائع الصادرة عن المنظمات والهيئات الدولية أنها دولة باطشة، وتشن الحروب خارج إطار الشرعية الدولية، وترتكب جرائم الحرب والإبادة، وتعرّض الشعوب لمخاطر الموت جراء حصارها اللاشرعي للدول، عدا ممارسات التمييز وسياسات العداء وخطابات التحريض والكراهية ضد العرب والمسلمين، الذين تخضع جميع أقطارهم للهيمنة الإمبريالية الغربية.

● المرشحة الجمهورية لمنصب نائب الرئيس على البطاقة الانتخابية «سارة بالين» لم تترك، ومعها رئيس مجلس الشيوخ الأسبق «نيوت غنغريتش»، الفرصة تمر من دون نهش الإسلام والمسلمين، وانتقادها كتابةً قرار محطة الإذاعة العامة الأمريكية بفصل المعلق «جوان ويليامز» بسبب تعليقاته المسيئة للمسلمين والإسلام، بزعم أن ما حدث هو انتهاك لحرية التعبير، وتساءلت: «ألم يقتل الإرهابيون الإسلاميون

(١) كريس هيدجين، الفاشيون الأمريكيون: الحرب التي يشنها اليمين المتطرف ضد أمريكا، مطلع عام ٢٠٠٧، عرض جريدة الخليج ٢٠٠٧/١/١٢.

آلاف الأمريكيين؟ لماذا أصبحت محطة الإذاعة غير قادرة على تحمل مناقشة صادقة من قضية مهمة مثل الإرهاب الإسلامي؟».(١)

● تقرير الشرطة الاتحادية الأمريكية (إف.بي.آي) الذي جاء بعنوان «الإرهاب ٢٠٠٢-٢٠٠٥» الذي يتحدث عن العمليات الإرهابية داخل الولايات المتحدة خلال هذه السنوات، يؤكد أن ٢٣ عملاً إرهابياً من أصل ٢٤، قامت بها مجموعات إرهابية محلية، مثل «فرسان العدالة لمنظمة كوكلوس كلان»، أو «جمعية الدفاع اليهودية»، أو «التحالف المناهض للشيوعية»، أو «جبهة تحرير الأرض» أو «منظمة أوميغا».(٢)

● «حيرت فيلدرز» زعيم حزب الحرية الهولندي العنصري، قال في حديث لصحيفة «يديعوت أحرونوت» الصهيونية (١٩/١١/٢٠١٠)، إن الكيان الصهيوني يحارب العرب والمسلمين نيابة عن أوروبا، داعياً إلى تسوية تقوم على جعل الأردن دولة فلسطينية؛ ويرى أن الفلسطينيين يحاربون الغرب من خلال محاربتهم «العدو الصهيوني».(٣)

● وجهت الشرطة البريطانية (١٢/٥/٢٠٠٩) تهمة معاداة السامية إلى الدبلوماسي البارز في وزارة الخارجية البريطانية «روان لاكستون» لقيامه بشتم العدو الصهيوني واليهود خلال محرقة غزة. وكان «لاكستون» الخبير في شؤون الشرق الأوسط يشاهد تقارير تلفزيونية في صالة للألعاب الرياضية، واعتقلته الشرطة بتهمة التحريض على الكراهية.(٤)

● من بين النكات التي تروى عن النظرة العدائية للإسلام والمسلمين في الولايات المتحدة حكاية من نيويورك مفادها أن كلباً هاجم طفلاً في إحدى حدائق نيويورك. وبدأت والدة الطفل تصرخ وتولول وتستنجد بالمارة لإنقاذ ابنها، وهم ينظرون إليها وكأن الأمر لا يعنيهم. اشتعل الحماس في أحدهم فهاجم الكلب وقتله، وخلّص الطفل من بين أنيابه. وتقدم منه مصور تلفزيوني، قائلاً «لأنك قمت بعمل بطولي، سنبث الخبر ونذكر أن بطلاً من نيويورك أنقذ طفلاً من موت محقق» فقال: «لكنني لست من نيويورك» فقال الصحافي: «سنذكر أن بطلاً أمريكياً أنقذ طفلاً من بين أنياب كلب هائج» فقال الرجل: «ولست أمريكياً أيضاً، أنا مسلم من الشرق الأوسط». وفي المساء

---

(١) جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١١٤٧٩، ٢٣/١٠/٢٠١٠.

(٢) جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١١٤٧٠، ١٤/١٠/٢٠١٠، ووسائل إعلامية مختلفة.

(٣) جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١١٥٠٨، ٢١/١١/٢٠١٠، ووسائل إعلامية مختلفة.

(٤) وكالة أنباء (يو.بي.آي) وانظر: جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١٠٥٩٠، ١٣/٥/٢٠٠٩.

حملت نشرة الأخبار خبراً عن إرهابي من الشرق الأوسط قتل كلباً في إحدى حدائق نيويورك.(١)

● إنها حملات منظمة يديرها مستفيدون أساسيون لهم مصالحهم وأهدافهم. فإضافة إلى الحزبين الجمهوري والديمقراطي في الولايات المتحدة، واليمين المسيحي الصهيوني واللوبي الصهيوني، هناك تحالف المال والسلاح والطاقة، أو ما يصح أن نطلق عليهم لوبي صناعة الحروب والاتجار بها، ممن يمثلون الشركات العملاقة لصناعة وتسويق السلاح، والشركات العابرة للقارات وشركات المرتزقه الأمنية، على شاكلة «بلاك ووتر» سيئة السمعة، وشركات صناعة تقنيات وتكنولوجيا المراقبة والتتبع والشركات العاملة في مجال النفط، إلى جانب آلة الإعلام الغربية التي يتحكم فيها عنصران ذاتيان: «الرغبة في نفط العرب وإيران، والخوف من المهاجرين العرب والمسلمين، وإصرار تلك الآلة الاعلامية على ربط «الإرهاب» بالاسلام، ما يعيدنا إلى الرسوم الفاجرة المسيئة للرسول الأعظم خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، التي جرى نشرها في صحيفة «يولاندس بوستن» الدنماركية، بما عبرت عنه من كراهية وحقد وعدائية وعنصرية، اعتبرتها عواصم غربية حق لحرية التعبير. بينما لم تشفع السنوات الست التي عمل فيها «ريك سانشين» مذيعاً في قناة (سي. إن. إن) التي تدعي محاربة العنصرية، ولم تتوان عن فصله، لأنه نعت زميله اليهودي (جون ستيوارت) بالمتعصب؛ يشار إلى أن (سانشين) الكوبي الأصل انضم إلى (سي. إن. إن) عام ٢٠٠٤.

هكذا كتبت كلمة الحق آخر سطر في مشوار الكوبي سانشين، ليلحق بكبيرة محرري الشرق الأوسط في (سي. إن. إن) فكتوريا نصر التي طردت بسبب رسالة على صفحتها الإلكترونية تثني فيها على المرجع الديني اللبناني الراحل محمد حسين فضل الله، وكيف لنا أن ننسى ما حصل لعميدة صحافيي البيت الأبيض (هيلين توماس) بانتقادها للكيان الصهيوني، إذ أُجبرت على إعلان اعتذارها.

● ليس بالغريب أن تشمئز إدارة (سي. إن. إن) من أي لفظ يزعج أبناءها اليهود، كما هو البيت الأبيض ـ العبري ـ وتنام قريرة العين على أنغام كلمات مهينة وشتائم بحق فئة غير يهودية من طاقم موظيفها، لأنها تنبع من مصدر محبب إلى قلبها ويخدم أهدافها، سبيلها إلى خدمة العدو الصهيوني، انطلاقاً من مقولة يعمل هذا

(١) وكالات أنباء ووسائل إعلامية مكتوبة، أنظر: جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١١٢٠٣، ٢٠١٠/١/٢٠.

الإعلام الغربي تحت لوائها (كن يهودياً وافعل ما تشاء في بلاد العم سام، واشتم من تشاء وتربع على العرش الإعلامي)، ما يذكرنا باحتفاء الأوساط اليهودية الأمريكية وجماعات الضغط بتعيين المدير السابق للجنة الصهيونية ـ الأمريكية للشؤون العامة (إيباك) «توم دين» مستشاراً للاتصالات لشبكة الشرق الأوسط التي تبث محطتَي (سوا) الإذاعية و(الحرة) التلفزيونية الحكوميتين الموجهتين للعرب واللتين أنشئتا بقرار من الكونغرس العام ٢٠٠٣ للتأثير في توجهات الرأي العالم العربي ولتحسين صورة الولايات المتحدة الأمريكية في العالمين العربي والإسلامي، بوجه محطات وقنوات عربية كانت إدارة الرئيس السابق جورج دبليو بوش تعتقد أنها سبب في شحن وتعبئة الرأي العام العربي ضد الولايات المتحدة وسياساتها، خصوصاً بعد غزو أفغانستان والعراق. (توم دين، ظل مديراً عاماً لمنظمة «إيباك» ١٣ عاماً).

● نشرت صحيفة «الجريدة» اليهودية الأسبوعية الصادرة في نيويورك (أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٠) على صفحتها الأولى تحت عنوان: «هل يمنحون الأوسكار لمعاد للسامية؟» والمقال يحمل على المخرج الفرنسي «جان ـ لوك غودار» الكاره لليهود، ولأنه وصف رئيسة وزراء الكيان الصهيوني «غولدا مائير» في العام ١٩٦٧، بأنها تلتقي على خط واحد مع أدولف هتلر، وحمل على الكيان، من حيث التذكير، مرة أخرى، بأن ما حل بالفلسطينيين هو نتيجة عنصرية توازي ما حل باليهود على أيدي النازيين؛ كما حملت بعض أفلامه على الوضع الناتج عن الاحتلال الصهيوني لفلسطين، بما في ذلك ما ورد في فيلمه «موسيقانا» حيث عارض الفعل اليهودي (الهجرة إلى فلسطين) ورفض الذهاب إلى الكيان. لأجل هذه الحقائق الدامغة وحرية التعبير التي لا لبس فيها يتعرض «غودار» لضغوط لا أول لها ولا آخر في «هوليوود» تمارسها جماعات الضغط اليهودية الصهيونية لحرمانه من الأوسكار، وحجبها عن أهم مؤلفي السينما في التاريخ.(١)

إن الحملات المسعورة التي تعرّض لها الإسلام والمسلمون عبر قرون، التي تقودها قوى الشر والعدوان، قوى الرأسمالية العالمية بالتوافق مع الماسونية العالمية والحركة الصهيونية، أجمعت بالممارسة والفعل على استراتيجية العدوان والتوسع والاحتلال والعنصرية، رغم ما يميز الإسلام عن سائر الديانات الأخرى بأنه ليس دين خرافة ولا شعوذة ولا إكراه فيه على ما ترفضه الفطرة والعقل. لذا جاء نظاماً

(١) جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١١٤٩٤، ٢٠١٠/١١/٧.

عالمياً لتحرير الإنسان من الجهالة والفكر الظلامي، دين جنس الإنسان الذي كرّمه الله على العالمين، وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلاً. وكما يمجد الإسلام العقل يمجد العلم، وكلما تقدم البحث العلمي مخترقاً فضاءات المجهول تبين أن الإسلام لا يتنافى مع مقتضيات العقل ولا مع مكتشفات العلم. والإسلام دين العدل والحق والمساواة والحرية والديمقراطية، كفل الحقوق عندما كان الإنسان، شرقاً وغرباً، لا يتمتع بأي حقوق.

ومن عظمة الإسلام ما ينفرد به بأنه أكد على توحيد الخالق والابتعاد به عن التوصيف والتشخيص، وهما يشكلان ضُعف أكثرية الديانات التي تصنع آلهة تفرض عبادتها في عملية مجافاة للفطرة وتجميد للعقل. وصدق القرآن الكريم إذ قال في سورة الصافات: «قال أتعبدون ما تنحتون (٩٥) والله خَلَقكم وما تعملون(٩٦)» وهو خطاب موجه إلى الفطْرة والعقل ليحكما بزيف الديانات التي يصنع معتنقوها آلهتهم ليعبدوها ويحملوا الغير على عبادتها.

ومن ميزات الإسلام الكبرى أنه لم يتخذ له كهنوتاً ولا جعل بين العبد وخالقه وسيطاً. فالعقل، مركز الإدراك، يرفض أن يكون الإله أو من يغفر الذنوب باسمه أو نيابة عنه بشراً ككل البشر.

الباحثة البريطانية د. كارين أرمسترونغ، الراهبة المسيحية السابقة، كتبت كثيراً عن الإسلام وتعمقت في المقارنة بين الأديان، فكانت كلماتها صوتاً مختلفاً عن خطاب الكراهية والعدائية ونفي الآخر، واعترفت بشعورها بالعار بسبب الصمت الأوروبي حيال ما يتعرض له الإسلام والمسلمون من تشويه، ونصحت الغرب بالشروع في حوار جاد مع المسلمين من أجل فهم الإسلام الحقيقي بعيداً عما يقدمه الإعلام الغربي من صور مشوهة لذلك الدين العظيم، دين الرحمة والسلام.(١)

والمفكر الفرنسي «إيتيان دينيه» يدلي بدلوه، فيقول: «إن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين كان سيد الجزيرة العربية، لم يفكر في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكتفياً بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، كريماً باراً كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه، وما لديه كان في أكثر الأحايين قليلاً لا يكاد يكفيه.(٢)

---

(١) جريدة الخليج الإماراتية، حوار أجرته مع (أرمسترونغ) في القاهرة، العدد ١١٠٨٠ ـ ٢٠٠٩/٩/١٩.

(٢) جريدة الخليج الإماراتية، (مجلة الصائم) العدد ١٠٧١٣ ـ ٢٠٠٨/٩/١٧.

أما المفكر الغربي الأشهر د. جون اسبيزيتو، حامل راية الإسلام، كما يلقبونه في الغرب، يقول: «إن الاسلام دين تسامح، ثري بالتشريعات النبيلة والحلول الإيجابية لمختلف المشكلات». ويضيف في حوار أجرته معه جريدة الخليج الإماراتية ـ مجلة الصائم ـ بالقول: «إن التهديد الإسلامي للحضارة الغربية أكذوبة نسجها التفكير النمطي المعلب، ومؤتمرات حوار الأديان تكرر كلاماً معسولاً لا تترجمه إلى توجهات حقيقية وعملية، كما وأن الإعلام الجاد ـ غير المسيس ـ مطالب بفضح الدور المشبوه للقوى الصهيونية».(١)

فمن الافتراءات والأكاذيب التي توارثها خصوم الإسلام في الغرب الزعم بأن الإسلام انتشر بحد السيف، وأن الفتوحات الإسلامية كانت حملات عسكرية استعمارية على الشعوب والأمم التي دخلتها عقيدة الإسلام بالإكراه. هذا الزيف، وهذه التهمة تجد آذاناً صاغية في الغرب ويروج لها إعلامه مدعوماً بالإعلام الصهيوني لإلصاق رذيلة العنف بالإسلام؛ وهو الهدف الأساسي الذي يسعى الإعلام الغربي – الصهيوني الى تحقيقه لتبرير الحملات والغزوات العسكرية التي تستهدف العالم الإسلامي، والمواقف الغربية المتشددة تجاه القوى المناهضة للاحتلال في عالمنا العربي والإسلامي.

والواقع الذي يشهد به (المنصفون) من مؤرخي الغرب ومفكريه وعقلائه أن الإسلام لم يعتمد إطلاقاً على السيف في نشر دعوته، أو في دخوله إلى البلاد التي فتحها وأشاع فيها قيم التسامح والرحمة والإخاء. فالإسلام من خلال كل البراهين الدينية التي تنطلق بها نصوصه دين يعترف بالحرية الدينية ويكفل حرية العقيدة، ويرفض الإكراه في الدين، وحقائق التاريخ تؤكد أن المسلمين لم يُكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام، وأنهم احترموا عقائد أهل البلاد التي فتحوها، وحافظوا على أماكن عبادتهم ووفروا لها الحماية والصيانة، وفتحوا أبوابها أمام أصحابها ليمارسوا شعائرهم وعبادتهم في حرية تامة.

بينما نجد الغرب بمجلسه المسكوني في الفاتيكان وقبله بابا الفاتيكان والبرلمان الأوروبي وكذلك المسيحيون الديمقراطيون والاشتراكيون الديمقراطيون والليبراليون والخضر في البرلمان الأوروبي، أعربوا عن قلقهم وإدانتهم إزاء حالات عدم التسامح ضد المسيحيين في الشرق الأوسط على وجه الخصوص وفي أفريقيا وآسيا، في إشارة إلى الجريمة التي استهدفت كنيسة «القديسين» بمدينة الاسكندرية ليلة رأس السنة

(١) جريدة الخليج الإماراتية، (الصائم) العدد ١١٣٣١ ـ ١٧ رمضان ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠/٨/٢٧.

الميلادية الجديدة ٢٠١١، وطالبوا حكومات الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي بالسعي لحماية الأقليات المسيحية في العالم، مع أنه ثبت لاحقاً أن تلك الحادثة كانت بتدبير من أجهزة الدولة لإثارة النعرات الطائفية.

إنها الذاكرة الغربية التي تنبعث منها الكراهية والعدائية تحت يافطة وأكذوبة الحوار، بينما هم يجنحون إلى إلغاء الآخر. إنها الأكاذيب والافتراءات التي يرددها أعداء الإسلام وخصومه، ويحاولون من خلالها النيل من الإسلام دين العدل، ومن عظمة القرآن الكريم، دستور المسلمين الخالد، قديمه ومتوارثه. فهو من وحي إلهي وليس إنتاجاً بشرياً كما يزعمون. والقرآن الكريم في حقيقته كتاب على أعلى مستوى من البيان الأدبي، وهو مختلف تماماً عما كان يعرفه العرب من شعر ونثر، وكل الحقائق تؤكد أن القرآن معجزة لغوية وأدبية. ومن الثابت تاريخياً أن النبي الخاتم صلوات الله وسلامه عليه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكون القرآن الكريم يأتي إلى يد إنسان أمي دليل على أنه ليس من إنتاجه، وإنما هو من وحي منزل.

والقرآن إلى جانب أنه معجزة أدبية ولغوية، هو موسوعة تشريعية متكاملة، تشمل العقيدة والشعائر ومكارم الأخلاق، والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، يهدف إلى إحداث توازن بين المادة والروح في حياة الفرد، وإلى إقامة علاقة مستقرة بين الفرد والمجتمع. ويزخر القرآن الكريم بالعديد من الإشارات إلى حقائق علمية لم يتوصل إليها العلم إلا في العصر الحديث؛ ومن أمثلة ذلك الإشارة إلى تطور حياة الجنين في بطن أمه، وأصل نشأة الكون وحركة الأفلاك والتفاعل المستمر بين الكائنات وحركة دوران الشمس والقمر والرياح والأمطار والنبات.

وهكذا يؤكد القرآن الكريم في كل عصر عظمته وإعجازه وتحدّيه لكل المتعصبين والكارهين والأفّاكين والمنكرين، الذين يحاولون النيل منه والتشكيك في صدقه كتاباً سماوياً لا يتحدى بكلماته وألفاظه وبلاغته فحسب، بل يتحدى بأحكامه وتشريعاته.

وعلى الجانب الآخر، ومع قيام النهضة الأوروبية، ربطت فلسفات التاريخ التي عرفت رواجاً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بين الماضي والمستقبل الآتي في صيرورة واحدة تبلغ قمتها وكمال صيرورتها. وهي لم تعمل في واقع الأمر إلا على استعادة المشروع البابوي بإنزاله من سماء العناية الإلهية إلى صيرورة التاريخ البشري، وكيف كرّست الأيديولوجيا البابوية في القرون الوسطى فكرة إنشاء امبراطورية عالمية مستعملة في ذلك استشرافات الدين المسيحي التي وظفتها بصورة جعلت منها

فلسفة دينية وأيديولوجيا سياسية يجمعهما اسم «اللاهوت». وقد يبدو لأول وهلة أن «السياسي» في هذا اللاهوت كان من أجل خدمة «الديني» وأن الإمبراطورية العالمية التي نادت بها البابوية وعملت لها كانت من أجل نشر قيم الدين المسيحي السمحة. غير أن ذلك لم يكن في واقع الأمر سوى غطاء ديني لأهداف سياسية.

وتأتي النهضة الأوروبية، وما تحقق فيها من اكتشافات علمية واستكشافات جغرافية ورواج تجاري، لتجعل الناس في أوروبا يعيشون التقدم في حياتهم اليومية. ومع قيام الثورة الصناعية التي مكّنت الإنسان الأوروبي من تسخير الطبيعة بكيفية متنامية، غدت فكرة «التقدم» ديدن الفكر الأوروبي. وهكذ أصبح الأوروبيون ينظرون إلى «المستقبل» على أنه شيء في يد الإنسان. وكان الفيلسوف الألماني (كانط) ربما أول من نادى بأن التاريخ يصبح ذا معنى إذا نُظر إليه كتقدم مستمر، ما يعني أن هذا التقدم قد بلغ أوجه في أوروبا، التي هي، في نظره، أطيب وسط طبيعي على وجه الأرض وإن أطيب جنس بشري ظهر فيها. ولذلك (حسب كانط) هي وحدها مسرح الحضارة الإنسانية. أما (هاردر)، الألماني أيضاً، فيقول في تأكيد خطاب نفي الآخر: «إن الحضارات لم تعرف أي تقدم تاريخي كما عرفت أوروبا التي هي موطن التقدم والحركة التاريخية المتنامية».

هذا الغرب السياسي، الذي كان عبر التاريخ ولا يزال عبر تعامله يروم للهيمنة والسيطرة على مقدرات العرب والمسلمين، بما سبقه من خطاب «الأنا» ونفي «الآخر» أصبح عبارة عن أيديولوجيا دينية كرّستها الكنيسة الكاثوليكية، تحمل نزوعاً صريحاً لإقامة دولة عالمية، الشيء الذي لا نجده عند الكنيسة الأورثوذكسية الشرقية. أما الكنيسة الرومانية اللاتينية التي استقلت بنفسها في روما، فلقد صارت بمثابة دولة داخل دولة، وكانت الوريثة الشرعية للإمبراطورية الرومانية القديمة، دولة على رأسها البابا تستنسخ في هياكلها نظام الإدارة البيزنطية، فلسفة عملت على إعادة وتكريس بناء «الأنا» الأوروبي بصورة تجعل تاريخ البشرية يقيم الدليل على أن أوروبا.. الحديثة وبهذا الاستنساخ، هي «أرض التاريخ المختارة» وشعبها هو «شعب التاريخ المختار»، ومصيرها محط «العناية التاريخية». بهذا أحلّت تلك الفلسفة «التاريخ» محل «الله» في الأيديولوجية البابوية، تماماً مثلما أحلّت واحتكرت البابوية «العناية الإلهية» لأتباعها وحدهم دون غيرهم.(١)

(١) عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، دار الاستقلال ـ بيروت، الطبعة ٣/ ١٩٩٠، ص ١٦٥ وما يليها، وانظر: محمد عابد الجابري، مسألة الهوية، العروبة والاسلام والغرب، ص ١٢٠-١٢١.

في ظل هذا الخطاب، كان هذا النوع من الإقصاء للشرق من طرف الغرب، من أجل أن يتعرف هذا الأخير إلى ذاته ويبني أناه. ولكن الإقصاء هو الكيفية التي سلكها الغرب سبيلاً إلى استعادة ذلك «الشرق» نفسه كموقع استراتيجي وثروة استراتيجية، لا بد من معرفته كي تتأتى السيطرة عليه. في هذا الصدد، يقول «سلفان ليفي» رئيس الجمعية الآسيوية بباريس وأستاذ اللغة السنسكريتية في الكلية الفرنسية: «إن واجبنا أن نفهم الحضارة الشرقية. وهي مشكلة مطروحة علينا نحن الفرنسيين فيما يتعلق بمستعمراتنا الآسيوية.. لقد أخذنا على عاتقنا مسؤولية التدخل في تطورهم.. وبسبب الحق الذي يمنحنا إياه تفوقنا فقد وضعنا جميع تقاليدهم الأصلية موضع سؤال ..».

ذلك ما يؤكده المستشرق الانكليزي «هاملتون غيب»، إذ يقول سنة ١٩٥١: «لم يعد في وسعنا (الغرب) أن نتوقع من شعوب آسيا وأفريقيا أن تأتي إلينا ونتعلم منها، بل ينبغي أن نتعلم عنهم من أجل أن نتعلم كيف نتعامل معهم..» أي كيف نُحكم سيطرتنا عليهم.(١)

في هذا الإطار يدخل اهتمام المستشرقين بالفقه الإسلامي والفلسفة الإسلامية واللغة العربية والأدب العربي. ولهذه الغاية كان اعتبار اللغة العربية حلقة رئيسية من حلقات مركزية إحياء وتجديد مشروع الغرب الاستعماري للوطن العربي. ومن هنا تبلورت وتكونت في الشرق نفسه نخب تؤدي المهمة والدور عن الغرب وتقوم له بما يريد، سواء في مراكز الدراسات الشرقية في أمريكا وأوروبا أو في مراكز مماثلة، أنشئت في عدد من العواصم العربية (كلية اللاهوت، معهد شملان – في لبنان– والمحافل الماسونية...).

وهكذا تحققت رغبة «موريس بريس» ذلك الطبيب الفرنسي الذي سجل في رحلته عبر الشرق الأدنى عام ١٩١٤ ما يلي:«كيف نستطيع أن نشكل لأنفسنا نخبة فكرية نقدر على العمل معها، ومن خلالها، وتتألف من شرقيين لن يكونوا قد اقتلعوا من جذورهم ويشكلون رباطاً بيننا وبين جماهير السكان الأصليين؟ وكيف سنخلق علاقات بهدف تمهيد الطريق في إبرام اتفاقات ومعاهدات ستكون هي الشكل المرغوب فيه لمستقبلنا السياسي في الشرق؟»(٢)

ومع أن الإسلام والمسلمين، أفراداً ودولاً، يعترفون باليهودية والمسيحية كديانتين

---

(١) إدوارد سعيد، الاستشراق، عرض: جريدة الخليج الإماراتية ١٦/٥/١٩٩٨.

(٢) المصدر نفسه، وانظر: محمد عابد الجابري، مسألة الهوية ـ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٧، ص ١٣٤.

سماويتين، مما يعني أن الإسلام لا يلغي «الآخر» كما تفعل اليهودية والبابوية، رأينا كيف كان الغرب في القرنين الماضيين يفكر في مستقبله من خلال الاستشراق، أي من خلال الشرق موضوعاً له، ومجالاً لممارسة نفوذه وهيمنته اقتصادياً وسياسياً وثقافياً. وسنكون واهمين إذا نحن جرّدنا الغرب من ذاكرته الثقافية، أو إذا نحن اعتقدنا أن الغرب قد تحرر من تلك الخلفيات الثقافية الدينية وهي تميط اللثام عن عدائيتها للإسلام والمسلمين.

في هذا السياق أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بياناً بشأن الماسونية والأندية التابعة لها، مثل: «روتاري» و«ليونز»، عام ١٩٨٥، أكدت فيه أن الماسونية وأنديتها منظمات هدامة تسيطر عليها الحركة الصهيونية ابتغاء السيطرة على العالم، عن طريق القضاء على الأديان، وإشاعة الفوضى الخلاقه، وتسخير أبناء البلاد للتجسس على أوطانهم باسم الخدمات الإنسانية. وهو تماماً ما بشّرنا به الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن وإدارته بأركانها المحافظين الجدد في حربهم على العراق.

إن المتتبع لنشاطات الجمعيات السرية وتنظيماتها الداخلية يمكنه أن يدرك بسهولة حجم الاختلافات الشاسعة بين «الماسونية» و «روتاري» من حيث نوعية أعضاء كل منهما. فبينما ضمت محافل الماسون مختلف شرائح وفئات الشعب من الملوك والأمراء والوزراء وضباط الجيش والأطباء، نجدها أيضاً قد ضمت صغار الموظفين والحرفيين والمزارعين، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار دعاوى الماسونية للإخاء والمساواة.

ولكننا نجد أن «روتاري» قد انتقى النخبة الراقية الثرية من كبار الرأسماليين في المجتمع وكبار الأطباء والمهندسين والمفكرين والأدباء، فما هو الرابط بين المحافل «الماسونية» و «روتاري»؟

إن حقيقة العلاقة بين روتاري والصهيونية، تستمد وقائعها من نشاطات بعض الماسونيين والصهيونيين في بعض الأقطار العربية، أو الموالين والتابعين لهم، أو من يؤمنون بالفكرة الصهيونية وضرورة تحقيقها، ولو أدى هذا إلى قتلاع أبناء فلسطين من أرضهم وديارهم، وتوطين شراذم الصهاينة اليهود القادمين من مختلف بقاع الأرض مكانهم، دونما اعتبار للمساواة والإخاء أو الإنسانية العالمية التي تطلقها الأندية والمحافل الماسونية؛ وهؤلاء الماسونيون والصهيونيون، هم أنفسهم أبرز وأنشط أعضاء روتاري، وفي أغلب الأحيان هم أقطاب التنظيم، وهم المخططون والمنفذون لكل تعاليم الماسونية العالمية التي تأتمر بالإملاءات من روتاري الدولي

في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية.(١)

فمع إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، سارع روتاري الدولي، وبإيعاز من الحركة الماسونية العالمية، بالاعتراف الرسمي بالكيان الصهيوني عام ١٩٤٨.

تعتمد فكرة نادي روتاري على مفهوم الخدمة على اختلافها، وتقوم على:

١) تعزيز مفهوم الخدمة في المجتمع، بإقامة المشروعات الخيرية.

٢) تعزيز الزمالة العالمية، بتوطيد العلاقات التجارية بين الشركات وأصحابها من الأعضاء في البلد الواحد.

٣) تعزيز مفهوم التفاهم والسلام.

والملاحظ أن الماسونية تتوزع سلطاتها في البلد الواحد بين محافل عالمية مختلفة. وعلى الساحة الاقتصادية نجد أن الفكرة الأساسية التي يعلنها الروتاريون عن منظمتهم أنها تمثل «اتحاداً لكبار رجال الأعمال»، وإلى جانب تعزيز مفهوم السلام العالمي والتفاهم الدولي، يُسهم روتاري في تسهيل الأمور التجارية بين الشركات العابرة للقارات، وهذا ما يفسر لنا حتمية أن يكون رئيس الغرفة التجارية، أو رئيس مجلس إدارة بنك، أو رئيس البنك الدولي، أو البنك المركزي، لأي دولة من الدول ماسونياً أو روتارياً أو كلاهما، حيث أن عدداً كبيراً من قادة روتاري هم أنفسهم كبار الطبقة الرأسمالية.

وهكذا، تحتضن مدينة «إيفانستون» بولاية إيلينوي في الولايات المتحدة الأمريكية المركز العالمي لروتاري الدولي، بفروعه الستة الرئيسية العالمية (في زيوريخ، باريس، ساوباولو، استكهولم، سيدني، وطوكيو) حيث يرتبط كل فرع بروتاري الدولي عبر السكرتير العام لكل منها. وفي لندن يقع المقر الدولي الإقليمي لروتاري بريطانيا وأيرلندا. وقد بلغ عدد أندية روتاري في العالم (حسب إحصاء ١٩٨٦) حوالي اثنين وعشرين ألف نادٍ في ١٦٠ دولة.

وفي ٢٣ فبراير/شباط ١٩٠٥، في حجرة بإحدى بنايات شيكاغو، اجتمع «بول هاريس» وثلاثة من أصدقائه يتداولون في كيفية تحقيق فكرتهم. واتفقت آراؤهم على تأسيس نادٍ اجتماعي أطلقوا عليه اسم (روتاري Rotary) نادي شيكاغو رقم ١، واختير لرئاسته «سلفستر شيلر» وانتشرت الفكرة في مختلف أنحاء الولايات المتحدة وكندا، ثم عبرت المحيط الأطلسي إلى بريطانيا وفرنسا وألمانيا ومنها إلى مختلف

(١) حمدي طنطاوي، روتاري الصهيونية، بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٤، ص ١٣، وما يليها.

أنحاء القارة الأوروبية. وفي العام ١٩٢١، عقد الروتاريون مؤتمرهم السنوي بمدينة أدنبره باسكتلندا، وفيه تقرر نشر سمومهم وشرورهم إلى كل انحاء العالم، وشعارهم «العجلة الدوارة ذات المحاور الستة» وتقرر كذلك تأسيس أندية روتارية للسيدات تحت اسم «العجلة الداخلية Inner Wheel».(١)

وفور انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول ١٨٩٧ في بازل بسويسرا، نشط الصهيونيون في تشكيل عدد من الهيئات المالية والاقتصادية، لتنفيذ برامج الاستيطان الصهيوني في فلسطين، وأهمها:

أ ـ صندوق الائتمان اليهودي للاستيطان، وهو أول مصرف صهيوني، وقد أنشئ عام ١٨٩٩ وكان هدفه تنمية رأس المال اللازم لبرنامج الاستيطان وتمويل الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

بـ ـ الصندوق القومي اليهودي «كيرين كايمت»، وقد أنشئ عام ١٩٠١، وذلك لجباية الأموال من أجل شراء الأراضي في فلسطين وسوريا، وكان نموذجاً للاستيطان.

جـ ـ مكتب فلسطين الذي تأسس في يافا عام ١٩٠٨، وعمل كوكالة مركزية للاستيطان الصهيوني، وشمل نشاطه شراء الأراضي الفلسطينية ومساعدة المهاجرين اليهود.

وكان الكولونيل «فريدرك هيرمان كيش»، أبرز قادة الروتاري في فلسطين، أحد مؤسسي الشركات الصهيونية لشراء الأراضي واستيطانها، ولا سيما تلك المساحات الشاسعة التي وهبها المندوب السامي البريطاني الأول في فلسطين «هربرت صموئيل» لعصابات بني صهيون.(٢)

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢-٣١، بالأساس: شارلز مارون في كتابه الروتاري وأخواتها، برنستون ١٩٦٣ يؤكد أن المجموعة التي اشتركت مع (بول هاريس) في تأسيس روتاري كانوا أعضاء في محافل الماسونية.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٦.